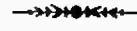


وكان صباح

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني



جاء يوم العيد ، وطلع نهاره ، وارتفعت شمس ، وأنا لا أرى أحداً يدخل على فيقرئني السلام ويحييني تحية الصباح ، ويهنئني بهذا العيد الجديد ، ويعني لي كثيراً من أمثاله ، وأمثال أمثاله إن شاء الله . شيء بارد !! أين هذه الزوجة التي كنت أظنها صالحة ، والأولاد الذين كنت أرجو أن يكونوا برة ؟ ؟

وأنا يحلولى الحديث على الرقيق ، بين نوبات التأوب والتعطى تحت اللحاف أو الللاء ، ولا أذكر أنى عدت قط من يحدثنى في صباح - حتى قبل أن أستيقظ - يدخل على أحد الصغيرين اللعينين فاسمع صوتاً ناعماً يناديني : « بابا ... بابا » فأقلب في فراشي وأحدث نفسي أن هذا حلم ، ولكن الصوت يلح على بالنداء « بابا ... بابا » فأفرك عيني بيد ، وأدس الأخرى تحت الوسادة لأخرج الساعة وأنظر ، فإذا هي الخامسة صباحاً ! فأصيح : « يا خبر أبيض ... مالك يا ولد ؟ » فيقول « صباح الخير » فأقول : « أى خير يا أخى ؟ حرام عليك ! » فلا يعبأ بي ، ولا يشفق على ، ويقول « هات القررررش » - هكذا ينطقها - فأحتال لأصرفه عني برفق وأقول له في جملة ما أقول « اذهب إلى أمك ... خذ منها » فيأبى اللعين أن يترشحزح ويقول : « نائمة ! » فأحرق في وجهه مستغرباً وأسأله « نائمة ؟ بالذمة ؟ » فيؤكد لي أنها نائمة ، فأقول « وأنا ؟ » فيقول « صاحي ! » فأقول « تمام ... في محله ... لا بأس ... ولكن القرش تحت الوسادة التي تريح عليها أمك النائمة خذها الأسبل ، فاذهب إليها وادفع يدك تحت المخذة ... بقوة ... وخذ القرش ، فإذا لم تجده هناك ، فستجده لا محالة بين أستانها ، فإنها ماكرة ، فافتح لها فها وانتزع من بين أضراسها »

فيضحك الخبيث وقد رافقه الكلام ، ويسألني « وإذا عضتني ؟ » فأطمئنه وأؤكد له أنى سأعضها انتقاماً له ! فيذهب عني مسروراً ...

أو تقبل الخادمة ، ويحسن أن أقول إن لها في بيتي عشر سنوات ، فتقف على رأسي وراء شباك السرير وتقول بصوت خافت ولكنه ملح : « سيدى ... سيدى ... »
فأنظر في الساعة التي تحت الوسادة ، وأقرض أستانى من النيط ، ولكنى أجملد وأقول : « يا صباح الفل ، نم يا ستى ... هل تريدان أن أفسر لك حلماً ؟ »

فتبتسم - أعرف أنها تبتسم وإن كنت لا أراها - وتقول « هل تريد الشاى خفيفاً أو ثقيلاً ؟ »
فأتهمد ، فإن هذا سؤالها كل يوم منذ عشر سنوات ، وأقول لها ما قلت كل يوم في هذه السنوات العشر :
« خير الأمور الوسط يا شيخه ! »

فتسأل « نعم ؟ »
فأقول على سبيل الشرح « متوسط ... لا بالخفيف ولا الثقيل .. ماذا تصنع الست ؟ »
فتقول : « نائمة »

فأقول : « يا بختها ! ليتنى كنت الست في هذا البيت السعيد ! »
فتقول الفتاة معترضة « يا سيدى ! »

فأقول : « اسمى ... إذا كنت تحبين ألا أكون الست ، فاذهبي إلى هذه الست التي تقط في نومها إلى الآن (الساعة الخامسة) وأيقظيها وقولي لها إني أصبح عليها وأقبل وجنتها ، واسأل عن الشاى الجديد أين خبأته ؟ إفعل هذا ، والله يحفظك »

والدعاء للخادمة واجب ، فأنتم شاى جديد ، ولا خبأت الست شيئاً ، ولكن لماذا يرعجنى كل من في البيت في هذه الساعة المبكرة دونها ؟

ويعلم الضجيج ، ثم تدخل الست مرغبة مزبدة ، وهي تصيح بي : « ألا يمكن أن تكف عن هذا البث ؟ حرام عليك يا شيخ .. والله ما نمت إلا ساعتين »

فأقول « كالقطط ... تأكل وتتكبر ... أنا أيضاً لم أتم إلا دقائق ... ضاع الليل كله في أحلام ... »

فتجنى عني اللحاف ، وتشد يدي ، أو رجلي ، وهي تقول « طيب قم ... »

فأصيح بها « إلى أين ؟ »

أن أوهمتنا أن هناك داعياً للتهنئة ... ؟ »
قلت : « كلا ... لم أضحك على أحد ... أليس اليوم يوم عيد ؟
تمالوا إذن قبلوا يدي بأدب ، وهنثوني ، وادعوا لي بالسعادة وطول
العمر ... مالكم ؟ »
ولم أسمع جواب السؤال ، ولم أعد أعنى بأن أسمعه ، فقد
شغلت عنه بالنار التي اندلعت في بدني ، من القرص الذي أنهال
به على الكبار والصغار ، حتى خيل إلي أني في خلية من خلايا
النحل ، لا في بيت يسكنه آدميون ...

وقلت وأنا أنظر إلى وجهي في المرآة : « ليتكم تفعلون بي
هذا كل صباح .. لقد صار وجهي أكبر .. وأحر .. وأحلى ..
ما شاء الله ! »
فقال الزوجة الصالحة : « كابر ... كابر ... »
قلت : « لا مكابرة ... هي الحقيقة ... لقد صار خدائي
كلوردين ... »
قالت : « حسن ... سنصبحك ونغسبك بما يحفظ لك حرمتها .
مستمدون يا أولاد ؟ »
فصاحوا جميعاً : « أبوه ... »
فقدمت ، وقد نويت أن آخذ بشأري ...
وكان صباح ...

ابراهيم عبد القادر المازني

مجموعات الرسالة

نباع مجموعات الرسالة مجلدة باتوامه الاربعة

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة

في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل
وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج .

عن كل مجلد

فتقول « وهل أنا أعرف ؟ قم والسلام ، وليكن هذا جزاؤك
على إنقاذ راحتي »
فأقول : « اتق الله يا مسلمة »
فتقول : « ولماذا لا تتقيه أنت ؟ »
فأؤكد لها أنني سأتقيه من الآن فصاعداً ، وأرجو أن تتركني
أنعم بالرفقة ، ولكن هيهات ، فقد استيقظ كل من في البيت ،
فلا سبيل بعد ذلك إلى راحة أو نوم

ولكن الساعة قاربت التاسعة في يوم العيد ، وما زال البيت
ساكناً على خلاف عادته ، فقلقت عليهم ونهضت ، ودخلت غرفهم
واحدة واحدة ، ونظرت في وجوههم وجسست نبضهم لأطمئن ،
وأردت أن أستوثق وأن أتق كل شك في أنهم ما زالوا أحياء
وبخير وعافية ، فوضعت أذني على صدورهم - أعنى قلوبهم -
لأسمع دقاتها ، ولم يكفني هذا ، فقد كانت بقية من الشك محتلج
في صدري ، فإ رأيتهم يتحركون ، فرحت أقرص هذا وأشد
أذن ذاك لأرى هل يحسون أو لا يحسون ، فقاموا جميعاً فزعين
بمسيحون ومحتجون ، فلما سكنت الضجة قليلاً قلت لهم : « ما هذا
النوم ؟ قوموا يرحمكم الله وتعالوا هنثوني »

فشوا ورأى وحفوا بي حيث جلست ، وأقبلوا علي يسألوني :
وتعلق بي الولدان اللينان فرحين ، ووقف الباقون ينتظرون أن
أفصي إليهم بالسر ، فأغرقت في الضحك ثم قلت وأنا أنهض :

« أليس في البيت شيء يؤكل ؟ إني أتضور جوعاً »
فقال الزوجة الصالحة : « شيء يؤكل . هل تعني أنك
أزعجتنا جميعاً على هذه الصورة الفاضحة ، لا لسبب سوى أنك تريد
أن تأكل ؟ »

قلت : « اسمي يا امرأة ... لا تجدني ... إن الطعام شيء
مقدس ... لا تذكره إلا بلهجة الاحترام والتوقير ... فإ
خلقنا إلاناً كل ... على الأقل هذا ما يبدو لي أنا ... لا تقاطعي
من فضلك ... أنت تظنين أنك خلقت لثنائي ... ولكنك غخطئة ..
أوه جداً ... الأكل أحلى ، وأوفق ، وأليق بالحي ... أما النوم ؟
ما الفرق بالله بين الميت والنائم ؟ »

فقاطعتني وقالت : « يعني ضحكك علينا وأجريتنا وراءك بعد